المذمومة، وأنت أيها الأخ المسلم إذا أردت الدعاء فادع الله بنفسك، لا تعتمد على غيرك؛ لأن دعاءك الله عبادة، وربما يحدث لقلبك من الإنابة إلى الله، والرجوع إليه، والافتقار إليه ما هو أفضل بكثير من إجابة دعوتك التي تريد.

٣- ومن فوائدها: إثبات أن بني إسرائيل يؤمنون بأنه لن يقدر على
إنبات الزرع وإخراجه من الأرض إلا الله؛ لأنهم قالوا لموسى - كما ذكر الله - تعالى -: «فاذع لنا ربك تخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقتايها ﴾ الآية.

٤- ومن فوائدها: التوسل إلى الله - تعالى - باسم الرب عند الدعاء؛ لقولهم: ادع لنا ربك؛ ولهذا كان قول الداعي: يارب، يا رب، من أسباب إجابة الدعاء؛ كما أشار إليه رسول الله ﷺ حين ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء: يا رب، يا رب، وكذلك إذا تأملت الدعاء المذكور في القرآن وجدت كثيرا منه مصدرا باسم الرب «يا ربنا».

هـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: انحطاط همم بني إسرائيل؛ حيث نزلوا من الأعلى إلى الأدنى؛ فطلبوا من موسى - عليه الصلاة والسلام - أن يدعو الله أن يخرج لهم مما تنبت الأرض من هذه الأنواع
(1) أخرجه مسلم، كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب، رقم (١٠١٥).

سورة البقرة

١٢٥١

التي تعتبر نازلة بالنسبة إلى المن والسلوى؛ ولهذا قال لهم نبيهم ﷺ كا ذكر الله - تعالى -: «أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خيره
وهذا يدل على سفههم وعدم صبرهم على ما من الله به عليهم. 6 - ومن فوائدها: جواز تفضيل الأطعمة بعضها على بعض، وأنه يجوز للإنسان أن يقول: هذا أدنى من هذا، أو هذا أعلى من هذا، أو هذا أردأ من هذا، أو هذا أطيب من هذا.

-. ومن فوائدها: أنه لا يلام الإنسان إذا اختار الأطيب من الطعام، ولا يعد ذلك من باب الإسراف؛ فقد أقرت شريعتنا هذا؛ فإن النبي ﷺ جيء إليه بتمر طيب فسأل: «أكل تمر خيبر هكذا؟» قالوا: لا، والله يا رسول الله، إنا لنأخذ الصاع من هذا بالصاعين، والصاعين بالثلاثة؛ فقال رسول الله ﷺ: «فلا تفعل، بع الجمع بالدراهم، ثم ابتع بالدراهم جنيبا»(1)، وأرشدهم ﷺ إلى أن يبيعوا التمر الرديء بدراهم، ثم يشتروا بالدراهم تمرا جيدا، ولم ينههم عن اختيار التمر الطيب يقدمونه إلى رسول الله ﷺ، فإذا اختار الإنسان من الطعام أطيب الأنواع، وكانت حاله تتحمل هذا، ولا يعد ذلك شرفا بالنسبة إليه؛ فإنه لا بأس به، ولا يلام الإنسان عليه؛ بل هذا من باب التمتع

(1) أخرجه البخاري: كتاب البيوع، باب إذا أراد بيع تمر بتمر خير منه، رقم (٢٢٠٢)؛ ومسلم: كتاب المساقاة، باب بيع الطعام مثلا بمثل، رقم (١٥٩٣).

أحكام من القرآن الكريم

بنعم
الله. والله - سبحانه وتعالى ـ يحب من عباده أن يتمتعوا بنعمه، وينهاهم أن يحرموا شيئا من الطيبات على أنفسهم؛ كما قال ـ تعالى ـ: و يتأيها الذين ءامنوا لا تحرموا طيبنت ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين * [المائدة: 87]؛ وذلك لأنه ـ سبحانه وتعالى - كريم؛ والكريم يحب أن يتمتع من يناله كرمه بكرمه.

هـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن ما كان موجودا مبذولا لا يحتاج الإنسان أن يدعو الله ـ تعالى ـ لحصوله؛ لأن الدعاء في مثل هذا سفه؛ فإنه موجود بين يديك، ولكن ادع الله ـ تعالى ـ ببقائه واستمراره، وألا يرفعه عنك؛ لأن هذه الدعوة في محلها، أما أن تقول: اللهم ارزقني كذا وكذا، وهو بين يديك فهذا لا وجه له؛ ولهذا قال موسى ـ عليه الصلاة والسلام -: «أهبطوا مضرا فإن لكم ما سألتم .

د
٩- ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن الله ضرب على بني إسرائيل الذلة والمسكنة، فهم دائما في ذل، ودائها في مسكنة، حتى وإن اغتنوا؛ فإن قلوبهم فقيرة؛ ولهذا تجد اليهود أشد الناس طلبا للمال وفناء في تحصيله؛ يحرصون على تحصيل المال بأي ثمن ولو بالطريق

المحرم؛ قال الله ـ تعالى ـ: « فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبت أحلت لهم ويصدهم عن سبيل الله كثيرا وأخذهم الربوا وقد نهوا عنه وأكلهم

سـورة البقـرة

٢٥٣ا

أموال الناس بالبطل ﴾ [النساء: 160، 161]؛ فهم أخاذون للربا، أكالون للسحت، ظالمون للعباد، فهذا دأب اليهود بالنسبة لأخذ المال، هم في مسكنة دائمة، وفي فقر دائم، لكنه فقر قلبي، وإن كان عندهم من الأموال عدد كثير.

١٠ـ ومن فوائـد هـذه الآية الكريمة: حلول الغضب على بني إسرائيل؛ لقوله ـ تعالى ـ: «وباءو بغضب من الله»، وهذا كقوله ـ تعالى ـ: * قل هل أنبئكم بشير من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطغوت أوليك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل ﴾ [المائدة: 60].
ج

١١ـ ومن فوائد الآية الكريمة: أن الله ـ تعالى ـ لا يظلم أحدا، لكن الذي يظلم هو الإنسان نفسه؛ ولهذا لما ذكر الله عقوبتهم بضرب الذلـة والمسكنة وحلول الغضب عليهم بيّن أن هـذا بـسبب كـفـرهم؛ فقـال: وذلك بأنهم كانوا يكفرون بنايت الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون»، فكفـرهم بآيـات الله معـصية
عظيمة أكبر المعاصي، وكانت سببا لضرب الذلة والمسكنة عليهم. ١٢ـ ومن فوائد هذه الآية: إثبات تعليل أفعال الله؛ أي: أن أفعال الله معللة؛ أي: مقرونة بالحكمة، فها من فعل يفعله الله ولا حكم يشرعه الله إلا مقرون بحكمته؛ ويتفرع على هذه الفائدة أنه كلما مرّ بنا

١٢٥٤ا

أحكام من القرآن الكريم

شيء مقرون بمشيئة، فيجب أن نعلم أنها ليست مشيئة مجردة، وإنما هي مشيئة اقتضتها الحكمة، ويدل على هذا قوله ـ تعالى ـ: « وما تشاءون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليها حكيمًا ﴾ [الإنسان: 30]، فأشار الله ـ تعالى ـ في هذه الآية إلى أن مشيئته مقرونة بحكمته فقال: « إن

الله كان عليمًا حكيمًا ﴾ [الإنسان: 30].

١٣ـ ومن فوائد هذه الآية: أن بني إسرائيل ـ مع عدوانهم في حق الله ـ معتدون على عباد الله؛ فهم يقتلون النبيين بغير الحق، ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس بغير الحق، وفي قوله: « بغير حق ؟ تشنيع عليهم، وأن قتلهم للأنبياء في غير محله؛ لأنه قتل بغير حق؛ فالصفة ـ هنا ـ ليست صفة مقيدة، وإنما هي صفة كاشفة موضحة أن قتل النبيين بغير حق، فيكون في هذا فائدة وهي زيادة التشنيع على بني إسرائيل يقتلهم النبيين.

١٤ - ومن فوائد هذه الآية: بيان عصيان بني إسرائيل واعتدائهم، وأنهم أصحاب معصية، واعتداء على الله، وعلى عباد الله ـ عز وجل ـ.

ثم قال الله ـ تعالى ـ: (إن الذين ءامنوا والذين هادوا والنصري والصبين من ءامن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

سـورة البقـرة

٢٥٥ا

في هذه الآية يقول الله ـ عز وجل ـ مبينا كمال عدله، وأنه لا يضيع عمل عامل عمل صالحا وآمن؛ يقول: «إن الذين ءامنوا»؛ وهـم أتبـاع

رسول الله ﷺ .
(والذين هادوا والبصري والصين ؛ الذين هادوا: هم أتباع موسى ، ووصفوا بهذه الصفة؛ لأنهم قالوا: إنا هدنا إليك؛ أي: رجعنا إليك، والنصارى: أتباع عيسى بن مريم، وسُموا نصارى؛
-
إما نسبة إلى بلدة تسمى الناصرة، وإما من النصرة؛ لأن عيسى لما قال ـ كا جاء في قوله - تعالى -: (من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله ﴾ [آل عمران: ٥٢].
وأما الصابئون: فهم قوم لهم دين يتدينون به، وقيل: إن الصابئ في الأصل من لا دين له، ولكن الذين هادوا والنصارى والصابئين قيد استحقاقهم الأجر بالإيمان بالله ﷺ اليوم الآخر، والعمل الصالح، أما المؤمنون فقد استحقوا هذا الوصف؛ فالقيد إن كان واردا في حقهم فهو على سبيل التوكيد، وذلك أن الذين بقوا على اليهودية، والنصرانية، والصابئة بعد بعثة الرسول ﷺ ليسوا على حق، ولا يصدق عليهم أنهم مؤمنون بالله ﷺ اليوم الآخر؛ لأنهم لو آمنوا

بالله اليوم الآخر حقا لاتبعوا محمدا ﷺ « الذي تجدونه مكتوبا عندهم في الثورية والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهنهم عن المنكر وجل لهم الطيبنت وتحرم عليهم الخبيث [الأعراف: 157].

١٢٥٦

أحكام من القرآن الكريم

الذي كانوا يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، والذي كانوا يستفتحون به على الذين كفروا، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فهم ـ أعني: اليهود، والنصارى، والصابئين بعد بعثة محمد ﷺ لا يصدق عليهم أنهم يؤمنون بالله ﷻ اليوم الآخر، ويعملون صالحا إلا إذا اتبعوا محمدا ؛ يقول الله ـ عز وجل -: «من امن بالله واليوم الآخر ؛ الإيمان بالله يتضمن الإيمان بوجوده، والإيان بربوبيته، والإيان بألوهيته، والإيمان بأسمائه وصفاته؛ فمن أنكر الله فليس بمؤمن، ومن لم يوحده بربوبيته فليس بمؤمن، ومن لم يوحده بألوهيته فليس بمؤمن، ومن لم يوحده بأسمائه وصفاته، فيثبتها على ما جاءت في كتاب الله ﷻ سنة رسوله ﷺ من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل؛ فليس بمؤمن؛ إذن الإيمان بالله يتضمن أربعة أشياء: الإيمان بوجوده، وبتوحيده في الربوبية، وبتوحيده في الألوهية، وبتوحيده في الأسماء والصفات.
وأما قوله: «وعمل صلحاء؛ فالعمل الصالح: هو الذي اجتمع

فيه شرطان:
الشرط الأول: أن يكون خالصا لله، لا يشوبه إشراك. والشرط الثاني: أن يكون متبعا فيه رسول الله ﷺ ؛ فلا يشوبه ابتداع؛ ولهذا لا يكون العمل عملا صالحا إلا إذا كان الله خالصا، ولشرعه موافقا؛ فإذا اجتمع الإيمان بالله جل وعلا، واليوم الآخر، والعمل

سورة البقرة

١٢٥٧

الصالح؛ ثبت الأجر.
والإيمان باليوم الآخر يتضمن الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ مما يكون بعد الموت، فيشمل الإيمان با يكون في القبر من سؤال الملكين الميت عن ربه، ودينه، ونبيه، ومن عذاب القبر ونعيمه، وكذلك ما يكون يوم القيامة من الجزاء ثوابا وعقابا، وتفاصيل ذلك مذكورة في

الكتاب والسنة.
وأما الأجر: فهو الثواب على هذا العمل المبني على الإيمان بالله ﷻ اليوم الآخر، وهو الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ومن قام بهذين الوصفين: الإيمان والعمل الصالح؛ فإنه يأمن من كل خوف من مستقبل، وحزن على ما مضى. فوائد هذه الآية الكريمة:
١- بيان عدل الله - عز وجل -، وأن من قام بالإيمان والعمل الصالح؛ فإن له الأجر عند ربه، سواء أكان من المؤمنين الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ ، أم من اليهود، والنصارى، والصابئين؛ فاليهود ـ مثلا ـ حين كانت شريعتهم قائمة ـ إذا اتصفوا بالإيمان والعمل الصالح كان لهم أجرهم كاملا موفرا، وكذلك النصارى، وكذلك الصابئون، أما إذا كان دينهم منسوخا؛ فإن الواجب عليهم أن يتحولوا عنه إلى الدين الناسخ، والملة الجديدة؛ ولهذا يعتبر اليهود كفارا بالنسبة للنصارى؛ أي: كافرين بعيسى ابن مريم، ويعتبر النصارى كفارا

١٢٥٨

بالنسبة لمحمد ﷺ؛ أي: كافرين بمحمد ﷺ، والكافر بمحمد ﷺ كافر حتى بنبيه؛ لأن الأنبياء قد بشروا به؛ كما قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وإنه لتنزيل رب العلمين - نزل به الروح الأمين ع على قلبك لتكون من المنذرين « بلسان عربي مبين (وإنه لفي زبر الأولين (أولم يكن هم ءاية أن يعمه, علمتوا بني إسراءيل ﴾ [الشعراء: ١٩٢ ـ ١٩٧] فمن كفر بمحمد ﷺ بعد بعثته؛ فإنه ـ حقيقة ـ لم يؤمن حتى برسوله؛ وعلى هذا فاليهود والنصارى والصابئون الموجودون اليوم لو قالوا: إنهم مؤمنون بالله ﷻ اليوم الآخر ويعملون عملا صالحا، فإننا نقول لهم: هذا لا ينفعكم؛ لأن الإيمان بالله ﷻ اليوم الآخر يستلزم الإيمان بمحمد ﷺ، والعمل الصالح لا يكون عملا صالحا إلا بموافقة شريعة محمد ﷺ، نسأل الله ـ تعالى ـ أن يجعلنا من المخلصين له، المتبعين لرسوله.
٢ـ ومن فوائد هذه الآية: أن العمل لا يثبت فيه الأجر إلا إذا كان عملا صالحا، والعمل الصالح ـ كما أسلفنا ـ ما اجتمع فيه شرطان: الإخلاص لله، والمتابعة لرسول الله ﷺ ؛ فمن عمل عملا يتضمن شيئا من الشرك؛ فإن عمله ليس بصالح، وليس بمقبول عند الله؛ لقول الله ـ تعالى -: ﴿ فمن كان يرجوا لقاء ربه، فليعمل عملا صلحا ولا يشرك

L

(1) أي: القرآن الكريم.

بعبادة ربه أحدا ﴾ [الكهف: ١١٠].
وفي الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ : أن الله قال: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك؛ من عمل عملا أشترك فيه معي غيري؛ تركته وشركه» ()؛ فمن تعبد الله عبادة يرائي فيها الناس؛ فإنها لا تقبل منه؛ لأنها ليست عملا صالحا، ولكن ـ هنا ـ مسألة يشكو منها كثير من الناس؛ كثير من الناس يقول: إنني إذا هممت بعمل صالح أناني الشيطان، وقال: إنك مراء؛ فيقعدني عن العمل، فما الحل لهذه المشكلة؟ وجوابنا على هذا أن نقول: الحل لهذه المشكلة أن تتعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وأن تنتهي عن ذلك، وأن تستمر في عملك الصالح معرضا عما يلقيه الشيطان في قلبك من أنك مريد للرياء، وفكر فلو أنك سئلت هل أنت مراء بهذه العبادة؟ لقلت: لا، إذن لا يصدنك الشيطان عنها بهذه الوسوسة، فاستمر في العمل، ولا يهمنك ما يلقيه الشيطان في نفسك من وساوس.

ويشكو بعض الناس ـ أيضا ـ أنه يدخل في العبادة ليس في قلبه رياء، ثم يحدث له الرياء في أثناء العبادة، فما الحل؟
جوابنا على هذا: أن يسعى في طرده، والتخلص منه، وأن يقبل على عبادة الله، ويعرض عما ألقى الشيطان في قلبه من الرياء، وهو إذا دافع

(١) سبق تخريجه (٢٠).

هذا الرياء؛ فإنه لا يضره، ولا يؤثر على عبادته. 3ـ ومن فوائد هذه الآية أيضا: أن العمل الذي لا يكون موافقا لشريعة الرسول ﷺ لا يقبل حتى وإن كان بنية خالصة، ليس فيها شرك؛ لأن النبي ﷺ قال: «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد»(1). وبناء على ذلك فإن جميع العبادات البدعية التي يتعبد بها أهلها، مها كثرت، ومها أثرت من لين القلب ودمع العين فإنها لا تنفعهم عند الله - عز وجل -؛ لأنها على غير صراط الله؛ وقد قال الله ـ تعالى ـ: ه وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا الشبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾ [الأنعام: 53]، فأي إنسان يتعبد الله عبادة قولية كانت أم فعلية فعليه الدليل على أن هذه العبادة ثابتة عن رسول الله ﷺ ، وإلا فإن عمله سيكون هباء، ويكون وبالا عليه؛ لأنه ابتدع في دين الله؛ فقد قال النبي - عليه الصلاة والسلام -: «فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»(٢). والبدع ـ مها حسنت في قلوب مبتدعيها ـ فإنها سيئة؛ لأن النبي -

(١) سبق تخريجه (٤٩).
(٢) رواه أبو داود: كتاب السنة، باب في لزوم السنة، رقم (٤٦٠٧)؛ والترمذي: كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، رقم (٢٦٧٦)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح»؛ وابن ماجه: كتاب المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، رقم (٤٢)؛ والدارمي

/١).
٤٤،٤٥)

ورة البقـرة
عليه الصلاة والسلام ـ قال كلمة عامة شاملة: «كل بدعة ضلالة»، ولم يستثن النبي ﷺ شيئا، والبدع ـ وإن حسنت في قلوب مبتدعيها ـ فإنها شر؛ تفرق الناس في دين الله، وتجعل كل طائفة من الناس تضلل الأخرى، ويكون كل حزب با لديهم فرحون، كما هو الواقع الآن؛ لما انتشرت البدع في الأمة الإسلامية، ومنذ زمن بعيد صارت الأمة الإسلامية متفرقة يضلل بعضها بعضا، وربما يصل الأمر إلى أن يكفر بعضهم بعضا، فقد قال الله ـ تعالى ـ: « شرع لكم من الدين ما وصى به توحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ﴾ [الشورى: ١٣]. وقال ـ عز وجل : (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله ثم ينتهم بما كانوا يفعلون ﴾ [الأنعام: ١٥٩]. وإنني بهذه المناسبة أوجه النصيحة إلى إخواني المسلمين أن يحرصوا على أن تكون أعالهم كلها

مبنية على شريعة الله، على ما جاء عن رسول الله ﷺ ؛ فإن هديه خير الهدي، وما خرج عن هديه فهو ضلال، وفتنة، وبدعة، وأن يحرصوا ـ أيضا ـ على الإخلاص لله ـ عز وجل ، فلا يفعلوا العبادة من أجل مراءاة الخلق أو سماع الخلق؛ لأن الخلق لا ينفعونهم، فلا ينفعهم إلا الخالق ـ عز وجل ـ.
4- ومن فوائد هذه الآية: الدليل على عظم الأجر على الإيمان والعمل الصالح؛ لأن الله ـ تعالى ـ أضافه إلى نفسه؛ فقال: «فلهم

أحكام من القرآن الكريم

أجرهم عند ربهم، وما كان من عند الله فهو من عند الكريم العظيم، وعطاء الكريم العظيم يكون عطاء عظيما.
هـ ومن فوائد الآية الكريمة: بيان نعمة الله ـ عز وجل ـ على عباده بهذا الثواب؛ حيث جعله بمنزلة الأجر اللازم الذي لابد من إيفائه، وهذا من نعمة الله؛ فهو الذي تكفل بذلك، وكتب على نفسه أن من

عمل صالحا؛ فجزاؤه عند الله ـ تعالى ـ الأجر الذي يستحقه. 6ـ ومن فوائد الآية الكريمة: أنه بالإيمان والعمل الصالح يطرد الخوف ويطرد الحزن في الدنيا وفي الآخرة؛ ولهذا كان أشرف الناس صدرا، وأنعمهم بالا، وأشدهم طمأنينة؛ أي: أشدهم طمأنينة في القلب هم المؤمنون العاملون عملا صالحا؛ ولهذا قال بعض السلف: «لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف..

ثم قال الله - تعالى -: (وإذ أخذنا ميثقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما اتيتكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون ع ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته، لكنتم من الخسرين *. الخطاب هنا لبني إسرائيل؛ يذكرهم الله - سبحانه وتعالى ـ بما أخذ عليهم من الميثاق حين رفع فوقهم الطور ـ وهو الجبل المعروف ـ وذلك بعد فسوقهم وعصيانهم، وأمرهم الله أن يأخذوا ما آناهم من الشرع بقوة لا ضعف فيها ولا هوادة، وأن يذكروا ما في هذا الذي

-
آتاهــم من المواعظ والأحكام؛ ليصلوا بذلك إلى تقوى الله ـ عز وجل ، ولكنهم تولوا بعد ذلك، ولولا أن الله ـ سـبحانه وتعالى ـ تـداركهم بفضله ورحمته؛ لكانوا من الخاسرين أبد الآبدين.
فوائد هاتين الآيتين:
١ـ تذكير الإنسان بما أنعم الله به عليه من النعم؛ ليذكر هذه النعمة فيشكر الله عليها، ولا سيما مع طول العهد وتناسي هذه النعم. ٢ـ أن الله - سبحانه وتعالى ـ أخذ العهد والميثاق عـلى بـني آدم أن يوحدوه ويؤمنوا به، وذلك بها ركب فيهم من العقـول، وأنـزل عـليـهـم من الكتب، وأرسل إليهـم مـن الرسـل؛ لقولـه ـ تعـالى -: (وإذ أخذنا
٣- بيان قدرة الله ـ عز وجل ـ وعظمته؛ حيث رفع هـذا الجبـل العظيم فوقهم؛ تخويفا وإنذارا، وهذه الأمة ـ أعني الأمـة المحمدية ـ لم يكن فيها مثل هذا الإنذار، ولكن كان فيـهـا إنـذار من نوع آخر؛ مثل كسوف الشمس، وخسوف القمر؛ فإن النبي ﷺ لمـا كسفت الشمس في عهده بيـن أن الشمس والقمر آيتان مـن آيات الله؛ يخوف الله بها عباده، وأنها لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، فبـيـن النبي ﷺ أن الله يخوف بها العباد؛ من أجـل أن يرجعوا إلى ربهـم؛ ولهـذا شرع للنـاس الذين يرون الكسوف أو الخسوف أن يفزعوا إلى ذكر الله، واستغفاره، والصلاة، والصدقة، والعتق.

= [٢٦٤

أحكام من القرآن الكريم

٤ـ ومن فوائد هاتين الآيتين: وجوب أخذ الإنسان بشريعة الله على وجه القوة التي ليس فيها ضعف ولا توان؛ لأن الإنسان إذا قابل أوامر الله بالضعف والتواني استولى عليه الـشيطان، واستحوذ عليه حتى يوصله إلى تركها، والتواني في أوامر الله ينقسم إلى قسمين: الأول: التواني في فعل المأمورات بأن يتكاسل في فعـل الواجبـات،

ويتراخي في فعل المندوبات؛ فيضعف إيمانه بذلك وينقص. والثاني: الضعف في ترك النواهي؛ بحيـث يـضعف الإنسان أمـام الشهوة الدافعة إلى فعـل المعـصية، وأعني بالشهوة شهوة الإرادة لا شهوة الجنس، وشهوة الجنس تكون ـ بلا شـك ـ أحيانـا ـ مـن الـشيء

المحرم إذا كانت على غير الأزواج وما ملكت اليمين، المهم أن الضعف كما يكون في فعل الأوامر يكون كذلك في ترك النواهي؛ بحيث يضعف
الإنسان أمام شهوات نفسه؛ فيعجز عن كبحها عما حرم الله عليه. هـ ومن فوائد الآيتين الكريمتين: وجوب ذكر ما في الكتب المنزلة من الوحي، وذكره على نوعين أيضا: النوع الأول: أن يذكر باللسان؛ وهذا يكون بتلاوة ما يتلى، وتعليم ما يعلم، والثاني: أن يذكر بالعمل؛ وذلك بالتطبيق؛ فإن تطبيق أوامر الله لا شك أنه ذكر له.

6ـ ومن فوائد هاتين الآيتين: أن أخذ الشرائع بالقوة وذكر ما فيها على حسب النوعين السابقين يكون سببا للتقوى؛ لقوله ـ تعالى -: لعلكم تتقون».

سورة البقرة

٢٦٥

والتقوى مأخوذة من الوقاية؛ وهي أن يتقي الإنسان عذاب الله - عز وجل -، بفعل أوامره واجتناب نواهيه، وقد فسرت التقوى بتفاسير متعددة، لكنها لا تخرج عما ذكرنا؛ وهي فعل أوامر الله ﷻ اجتناب نواهيه ـ تبارك وتعالى ؛ لأن الوقاية من عذاب الله لا تكون إلا بذلك. ـ ومن فوائد الآيتين الكريمتين: إثبات الأسباب؛ لقوله ـ تعالى ـ: ولعلكم تتقون»؛ فإن «لعل» ـ هنا ـ للتعليل، والعلة: السبب، والناس في الأسباب انقسموا إلى ثلاثة أقسام:
قسم أفرطوا فيها، وقسم فرّطوا فيها، وقسم وسط. فأما الذين أفرطوا فيها ـ أي: بالغوا وغالوا ؛ فإنهم أثبتوا الأسباب وجعلوها هي الفائدة المؤثرة التي لا يمكن أن يتخلف المسبب فيها عن
السبب.
وأما الذين فرطوا في الأسباب؛ فهم الذين قالوا: إن الأسباب ليس لها تأثير في مسبباتها، وإن الذي يحصل بهذه الأسباب لم يكن بها، ولكنه عندها؛ مثال ذلك: لو انكسرت زجاجة بحجر رميت به، فعند القسم الأول الذين أفرطوا في إثبات الأسباب يكون انكسار الزجاجة بها أمرا طبيعيا لابد منه، وعند الآخرين لم يكن الانكسار بسبب اصطدام الحجر بالزجاجة، وإنما كان عند اصطدام الحجر بالزجاجة لا به، ولا شك أن هذين القولين بعيدان عن الصواب، وأن الصواب هو القول الثالث الوسط، الذين أثبتوا الأسباب وتأثيرها في مسبباتها، ولكنهم

١١٢٦٦

جعلوا ذلك مما خلقه الله ـ عز وجل ـ فيها من القوة؛ فهي لم تنفرد بالتأثير، ولكن خلق الله فيها هذا التأثير؛ ويدل لذلك السمع والعقل. فأما السمع؛ فإن الآيات والأحاديث في إثبات الأسباب وتأثيرها لا تكاد تحصى كثرة.
وأما الواقع أو العقل؛ فإن الحسّ شاهد بذلك؛ فكل إنسان يعرف أن انكسار الزجاجة لرميها بالحجر، إنها كان بالحجر لا عند اصطدامه بها؛ ولهذا لو وضعت الحجر عليها وضعا؛ لم يكن له تأثير فيها، ويدل على أن الأسباب لا تفعل بنفسها ولكنها تؤثر بها أودع الله فيها من القوة، أن النار المحرقة الحارة حين أمرها الله - عز وجل ـ أن تكون بردا وسلاما على إبراهيم كانت بردا وسلاما عليه؛ فإن إبراهيم أضرمت له نار كبيرة عظيمة وألقي فيها، حتى إن بعض العلماء قال: إن قومه لما أرادوا أن يلقوه في النار لم يتمكنوا من القرب منها فوضعوه في منجنيق ورموه بواسطته إلى النار، فقال الله ـ تعالى ـ: * ينتار كوني بردا وسليما على إبراهيم ﴾ [الأنبياء: 69]؛ فكانت بردا وسلاما عليه، ولم تؤثر فيه شيئا، وهذا يدل على أن تأثير الأسباب ليس تأثيرا ذاتيا حتميا لابد منه، بل با خلقه الله فيها من القوة المؤثرة لا الفاعلة.

هـ ومن فوائد هاتين الآيتين أيضا: أن بني إسرائيل ـ بعد هذا الإنذار الشديد ـ لم ينتفعوا بها أنذروا به، بل تولوا من بعده، وهذا يدل على قسوة قلوبهم، وأنهم من أشد الناس طغيانا وضلالا.

سورة البقرة

ـ ومن فوائد هاتين الآيتين: إثبات فضل الله ـ عز وجل ـ على بني إسرائيل، وما أكثر نعمه على بني إسرائيل، ولكنهم قوم لا يشكرون، بل كانوا يصفون الله - عز وجل ـ با ينزه عنه؛ كقولهم: «يد الله مغلولة»؛ قال الله ـ تعالى - : « وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء ﴾ [المائدة: 64]. ووصفوا الله - سبحانه وتعالى ـ بالفقر؛ قال الله ـ تعالى ـ: « لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق ان ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد ﴾ [آل عمران: ١٨١، ١٨٢]
١٠ـ ومن فوائد هاتين الآيتين: أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يتدارك عبده بالفضل، قال تعالى: «فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من
الخسرين .

١٨٢

٢٦٧

١٨١

١١ـ ومن فوائد هاتين الآيتين: تذكير آخر الأمة بها صنع أولها؛ لأنه إن كان خيرا كان من الفضل أن يتبعوا من سبقهم فيه، وإن كان شرا كان من الحكمة والعقل أن يبتعدوا عنه، واستنبط بعض العلماء من هذا أن صنيع أول أمة يصح أن ينسب إلى آخرها؛ لأن الله خاطب بني إسرائيل في عهد النبي ﷺ با صنعه آباؤهم وأجدادهم، وهذه الفائدة محل نقاش ومحل تأمل.
١٢ـ ومن فوائد هاتين الآيتين: أنه ينبغي للإنسان ألا يضيف ما من

١٢٦٨

أحكام من القرآن الكريم

الله به عليه من فضل إلى مجرد فعله هو؛ فينسى بذلك نعمة الله ﷻ فضله، ويقع في الإعجاب بالنفس الذي هو محط كل شر.

*

ثم قال الله - تعالى -: (ولقد علمهم الذين اعتدوا منكم في الشبت فقلنا لهم كونوا قردة خسيين ان جعلتها تكلا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين (.

يؤكد الله ـ سبحانه وتعالى ـ في هاتين الآيتين، في خطاب بني إسرائيل، في عهد النبي ﷺ أنهم قد علموا حال الذين اعتدوا منهم في السبت ـ وهو اليوم الذي كانوا يعظمونه ـ؛ وكان الله ـ سبحانه وتعالى قد حرم عليهم الصيد في هذا اليوم وابتلاهم؛ حيث كانت تأتيهم الحيتان في هذا اليوم شرعا، طافية على ظهر الماء، كثيرة، يسهل أخذها، وفي غير هذا اليوم لا تأتيهم الحيتان؛ فطال عليهم الأمد، وقالوا: لا يمكن أن ندع هذه الحيتان تأتي وترجع دون أن نصيدها، فعملوا لذلك حيلة؛ فوضعوا «شباكا» في يوم الجمعة، فإذا جاءت الحيتان يوم السبت وقعت في هذه «الشباك»، وإذا كان يوم الأحد أتوا إلى الشباك، فأخذوا ما فيها من

الحيتان؛ فعاقبهم الله ـ تعالى ـ بهذه العقوبة العظيمة أن جعلهم قردة خاسئين ـ القردة: جمع قرد، والخاسئ: هو الذليل ـ بعد أن كانوا بشرا سويا ذا عناد ورفعة، فجعل الله هذه العقوبة نكالا لما بين يديها للأمة المعاصرة لهم، وما خلف هذه الأمة الآتية بعدهم، وجعلها كذلك

سورة البقرة

١٢٦٩

موعظة للمتقين؛ أي: سببا لاتعاظهم، وقد سبق الكلام عن التقوى. في هاتين الآيتين يذكر الله - سبحانه وتعالى ـ بني إسرائيل الذين كانوا في عهد النبي ﷺ با حدث لمن سبقهم من بني إسرائيل با ذكر
عن السبت .

فوائد هاتين الآيتين:
١ـ تذكير الأمة بما فعل سلفها؛ ليتخذوا منه عبرة. ٢ـ ومن فوائدهما: أن التخيل على محارم الله لا يقلبها إلى حلال، بل إنّ التّحيل على المحارم لا يزيدها إلا قبحا؛ لأن التحيل على المحارم فيه محذور فعل المحرم، ومحذور الخداع الله ـ عز وجل ـ، فيكون المتحيل جامعا بين فعل المعصية التي نهوا عنها وخيانة الله - سبحانه وتعالى - وخداعه، * ويمكرون ويمكر الله والله خير المنكرين ﴾ [الأنفال: 30]، فأعظم فائدة تستنبط من هاتين الآيتين: هي أن التحيل على محارم الله - عز وجل ـ لا يقلبها حلالا؛ بل إن التحيل على المحارم لا يزيدها إلا

قبحًا؛ لأن المتحيل يقع في محظورين:
المحظور الأول: أن يقع بفعل هذا المحرم في المحظور. الثاني: المخادعة لله - سبحانه وتعالى ـ؛ ولهذا نجد أن المنافقين أعظم ذنوبا وأكبر جرما من الكافرين الصرحاء؛ كما قال الله ـ تبارك وتعالى ـ: « إن المنفقين خدعون الله وهو خدعهم ﴾ [النساء: ١٤٢]، وقال ـ تعالى ـ: « إن المشفقين في الدرك الأسفل من النار ﴾ [النساء: ١٤٥].

٢٧٠

أحكام من القرآن الكريم

وبين الله - سبحانه وتعالى ـ أن المنافقين هم العدو الحقيقي الأكبر للمؤمنين؛ كا ذكره ـ سبحانه وتعالى ـ في سورة «المنافقون» في قوله:
وهم العدو فاحذرهم ﴾ [المنافقون: 4]؛ ومن هنا نعلم أن الذين يتحيلون على الربا بالطرق الملتوية أشد إثما من الذين يأتون الربا على وجه صريح؛ لما في فعلهم من الوقوع في محظور الربا من وجه ومن مخادعة الله - سبحانه وتعالى ـ من وجه آخر. وهناك معنى ثالث في المخادعة؛ وهو أن المخادع يظن أنه على صواب، وأنه لم ينتهك المحرم؛ فلا يزال مستمرا عليه، ولا يحدث نفسه بالتوبة منه، بخلاف الذي يأتي المحرم على وجه صريح؛ فإنه يرى نفسه مذنبا مقصرا في حق الله؛ فيخجل من ربه ـ عز وجل -، وربما يأتي اليوم الذي يتوب فيه إلى الله - سبحانه وتعالى ـ، فيكون الآتي للمحرم صريحا أقرب إلى التوبة من المخادع الماكر؛ ولهذا لعن الرجل الذي يتزوج امرأة؛ لتحليلها لزوجها الأول؛ كما جاء في الحديث أن النبي ﷺ «لعن المحلل والمحلل له»).
والتحليل هو أن الرجل يتزوج امرأة طلقها زوجها ثلاثا؛ من أجل

(١) رواه أبو داود: كتاب النكاح، باب في التحليل، رقم (٢٠٧٦)؛ والترمذي: كتاب النكاح، باب ما جاء في المحلل والمحلل له، رقم (١١٢٠)، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح»؛ والنسائي: كتاب الطلاق، باب إحلال المطلقة ثلاثا وما فيه من التغليظ، رقم (٣٤١٦)؛ وابن ماجه: كتاب النكاح، باب المحلل والمحلل له، رقم (١٩٣٤، ١٩٣٥)؛ والدارمي (٢/ ١٥٨)؛
وغيرهم.

سورة البقرة

٢٧١

أن يجامعها فيحلها لزوجها الأول، وهذا لا شك أنه محرم، وأنه لا ينفع؛ ولهذا قال أهل العلم: إن الرجل إذا تزوج امرأة على سبيل التحليل؛ فإنها لا تحل للزوج الأول ولو أن الثاني جامعها؛ وذلك لأن نكاح التحليل نكاح لا يراد به حقيقته؛ فإنه إنها يريد أن يتزوج هذه المرأة؛ من أجل أن يجامعها ثم تعود إلى زوجها الأول، قال أهل العلم: ومع ذلك فإنها لا تحل للزوج الأول؛ لأن الله - سبحانه وتعالى ـ قال في كتابه: * فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره) [البقرة: ٢٣٠] ونكاح التحليل ليس بنكاح شرعي؛ لأنه نكاح غير مقصود؛ فإن من المعلوم أن المقصود بالنكاح هو بقاء المرأة عند زوجها؛ لأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ جعل من فوائد النكاح أن يسكن الرجل إلى زوجته وتسكن إليه، فإذا كان النكاح ليس نكاح رغبة، بل إنها تزوجها ليطلقها

م
إذا أحلها للزوج الأول؛ فإن ذلك ليس بنكاح شرعي، وحينئذ لا تحل للزوج الأول، وإنا نبهت على ذلك ـ وإن كان والله الحمد قليلا عندنا ؛ لأنه قد يخفى على بعض الجهال؛ فيريدون فعل المعروف للزوج الأول، ولكنهم يسيئون إلى أنفسهم، ولا يفيدون الزوج الأول شيئا؛ لأن الزوجة لا تحل للزوج الأول إذا كان النكاح الثاني نكاح
تحليل لا رغبة.

(١) طلقها: أي: الطلقة الثالثة.

أحكام من القرآن الكريم

٣ـ ومن فوائد هاتين الآيتين الكريمتين: أن العقوبة تكون مجانسة للعمل؛ كما قال الله - تبارك وتعالى -: * فكلا أخذنا بذنبه ؟ [العنكبوت: 40]، فهؤلاء القوم ـ لما تحيّلوا على فعل المحرم با ظاهره الإباحة؛ حيث نصبوا الشباك في يوم الجمعة، وأخذوا الحيتان الواقعة فيه في يوم الأحد، وظاهر هذا الفعل أنهم لم يصطادوا في يوم السبت، وأنهم فعلوا فعلا حلالا؛ قلبهم الله - سبحانه وتعالى ـ إلى أقرب الحيوانات شبها بالإنسان وهي القردة.
٤ـ ومن فوائد هاتين الآيتين الكريمتين: أن قول الله ـ عز وجل - ينقسم إلى قسمين: قول كوني؛ كما في هذه الآية: « فقلنا لهم كونوا قردة خستين ؛ فإن هذا القول كوني وليس بشرعي؛ لأنه ليس باستطاعتهم أن يقلبوا أنفسهم إلى قردة، ولكنه القول الكوني الذي قال الله عنه: وإنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ﴾ [يس: ٨٢]. وأما القول الشرعي؛ فهو ما جاءت به الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ مثل قوله - تعالى -: (وقال ربكم ادعوني أستجب لكز [غافر: 60]؛ فإن قوله: «ادعوني أستجب لكز: قول شرعي يؤمر به العبد ويمكنه امتثاله، والفرق بين القولين ـ الكوني والشرعي ـ أن القول الكوني لابد من نفوذه ووقوعه، أما القول الشرعي فإنه قد يمتثل المقول له وقد لا يمتثل، أما القول الكوني فلابد من وقوع مقوله بكل حال.

سورة البقرة

هـ ومن فوائد هاتين الآيتين: إثبات القول الله؛ فإن الله ـ سبحانه وتعالى ـ قائل ويقول، كما أنه متكلم ويتكلم، والكلام وضفة ـ سبحانه وتعالى ـ القائم به، وهو وصف ذاتي فعلي؛ فالكلام ـ باعتبار أصله ـ وصف ذاتي لم يزل اللى ﷻ لا يزال متصفا به، وباعتبار آحاده وصف فعلي يتكلم با شاء متى شاء، وهذا هو ما ذهب إليه السلف وأهل السنة والجماعة من أن

الكلام وصف الله ـ تعالى ـ قائم بذاته متعلق

بمشيئته.
6ـ ومن فوائدهما: بيان قدرة الله ـ عز وجل ـ؛ حيث انقلب هؤلاء البشر من الإنسانية إلى الحيوانية البهيمية؛ لقوله ـ تعالى ـ: ﴿ كونوا قردة خستين ؛ فكانوا قردة، ويبقى سؤال يطرح نفسه؛ وهو هل هذه القردة الموجودة الآن من نسل بني إسرائيل أم هي جنس من المخلوقات منفرد؟

وجوابنا على هذا أن نقول: هذه القردة الموجودة ـ الآن ـ جنس منفرد من مخلوقات الله ـ عز وجل ـ، مستقل بنفسه، أما الذين قلبوا قردة من بني إسرائيل؛ فإنه ليس لهم نسل، بل ماتوا، وهلكوا، وبادوا ـ كا قرر ذلك أهل العلم ـ؛ وذلك أن بني آدم من آدم، وآدم خلقه الله ـ تعالى ـ من تراب، ثم قال له: كن؛ فيكون؛ قال الله ـ تعالى ـ: « إن مثل عيسى عند الله كمثل :ادم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ؟
[آل عمران: 59].

-

١٢٧٤

-

أحكام من القرآن الكريم

ـ ومن فوائد هاتين الآيتين: تكذيب من زعم أن البشر أصلهم قردة، ثم تطوروا حتى صاروا بشرا؛ لأن الله - سبحانه وتعالى ـ جعل الإنسان قردا ـ حينا أراد أن يعاقبه ـ؛ لمخالفته أمره، وقد جاءت الآيات والأحاديث الصحيحة الصريحة على أن آدم خلق من تراب، وأجمع على ذلك المسلمون، ولم يختلف فيه اثنان منهم، فمن اعتقد أن أصل بني آدم قردة؛ فإنه مكذب بالكتاب، والسنة، وإجماع المسلمين، فإن قالها عن جهل ـ لكونه عاش في بيئة لا تعلم سوى ذلك ـ؛ فإنه يعلم، فإن أصر على ما كان عليه؛ صار كافرا، وإن لم يقلها عن جهل - بأن كان مقيما في بلاد المسلمين الذين يقرءون كتاب الله وسنة رسوله ؛ فإنه يكون كافرا بمجرد قوله: إن بني آدم أصلهم قردة؛ لأن هذا تكذيب صريح لما علم من دين الإسلام. ٨ـ ومن فوائد هاتين الآيتين الكريمتين: أن من رام المرتبة بغير استحقاق لها؛ فإنه يعاقب

بنقيض قصده؛ لأن هؤلاء الذين اعتدوا، واستكبروا، وتعالوا عوقبوا بنقيض قصدهم؛ عوقبوا بأن حولوا إلى قردة خاسئة ذليلة، وهكذا كان من أراد علوا في الأرض أو فسادا؛ فإنّ الله ـ سبحانه وتعالى ـ لا يصلح عمله، بل يحطه وينزله؛ قال الله ـ تعالى : «إن الله لا يصلح عمل المفسدين﴾ [يونس: 81]، ومن تواضع الله رفعه، ومن تعالى على الله ﷻ ضعه؛ ولهذا كان الإنسان كلما تواضع للحق وللخلق؛ ازداد رفعة عند الله ﷻ عند الخلق ـ أيضا.

سـورة البقـرة

١٢٧٥

ـ ومن فوائد هاتين الآيتين الكريمتين: إثبات العقوبة، وأن العقوبة لابد أن يكون لها تأثير؛ لقوله ـ تعالى ـ: «جعلتها تكلا لما بين يديها وما خلفها، ووجه ذلك أن كل من اطلع على حال هؤلاء، فلابد أن ينكل؛ أي: يمتنع عما كان عليه من الإثم والعدوان، سواء كان ذلك بترك الواجب، أو انتهاك المحرم، واعلم أن «الجعل» ـ الذي أضافه الله لنفسه ـ ينقسم إلى قسمين: قسم كوني وقسم شرعي؛ فمن الكوني قوله - تعالى -: «وجعلنا اليل لباشا وجعلنا اليل بياشا (وجعلنا النهار
معاشاء [النبأ: ١٠،١١].

ومن الشـرعي قوله ـ تعالى ـ: « ما جعل الله من تجيرة ولا سايبة ولا وصيلة ﴾ [المائدة: 103]؛ أي: ما شرع هذه الأشياء. ١٠ـ ومن فوائد هاتين الآيتين الكريمتين: أن الموعظة إنها ينتفع بها المتقون؛ لقوله ـ تعالى ـ: (وموعظة للمتقين »؛ فمن ليس بمتق فإنه لا ينتفع بالموعظة، وكلما كان الإنسان أتقى الله كان أوعى للموعظة وأكثر انتفاعا بها؛ وشاهد هذا ظاهر في المحسوس؛ فإنك تجد الرجل المتمادي في المعاصي، المنهمك فيها لا ينتفع بالموعظة والإرشاد، وتجد الرجل المستقيم المتقي إذا وعظ انتفع، فإن كان في اتجاه إلى محرم عدل عنه، وإن كان متهاونا في مأمور اتجه إلى فعله واستبق إليه.
١١ـ ومن فوائد هاتين الآيتين الكريمتين: أن للتقوى فوائد؛ منهـا: الموعظة؛ أي: الاتعاظ بها يحصل من الآيات، آيات الله الكونية أو آيات

١٢٧٦
الله الشرعية، وللتقوى فوائد كثيرة ذكرها الله ـ تعالى ـ في كتابه العظيم: منها: أنها سبب لتيسير الأمور؛ كما قال الله ـ تعالى : (ومن يتق الله تجعل له من أمره، يسرا ﴾ [الطلاق: 4]. ومنها: أنها سبب لتفريج الكربات؛ كما قال الله - تعالى -: ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجا

ويرزقه من حيث لا تحتسب ﴾ [الطلاق: ٢، ٣] ومنها: أنها سبب للهداية والنور؛ كما قال الله ـ تعالى ـ: * يأيها الذين ءامنوا إن تتّقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم ﴾ [الأنفال: ٢٩]، فإذا كانت التقوى بهذه المثابة؛ كان لزاما على العاقل أن يلتزم التقوى؛ حتى تحصل له هذه الفوائد العظيمة التي رتبت عليها.

].

أحكام من القرآن الكريم

*

ثم قال الله - تعالى -: (وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذكوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجتهليت و قالوا أدع لنا ربك يبين لنا ما هي قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذالك فافعلوا ما تؤمروت ﷺ قالوا اذع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تشر النظرين (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي إن البقر تشبه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تشفى الحرث مسلمة لا شية فيها قالوا الفن جئت بالحق فدخوها وما

سـورة البقرة

٢٧٧

ع
كادوا يفعلون (وإذ قتلتم نفسا فادارتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون (فقلنا أضربوه ببعضها كذالك يحي الله الموتى ويريكم ايته، لعلكم تعقلون (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهر وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله وما الله يغفل عما تعملون * * [البقرة: 67 - ٧٤]. ـ
أن
في هذه الآيات الكريمة يذكر الله - سبحانه وتعالى ـ بني إسرائيل بهذه القصة الغريبة العجيبة التي وقعت من بني إسرائيل؛ وذلك أنّهم قتلوا نفسا، فاختصموا فيها، وتدارءوا فيها، وكل قبيلة تدعي القبيلة الأخرى هي التي قتلت هذه النفس، واشتبه عليهم الأمر؛ فارتفعوا إلى

موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ فقال لهم موسى: : «إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ، ولكن لطغيانهم، وعتوهم، واستبعادهم ما عند الله ـ عز وجل ـ سخروا بموسى وقالوا: «أتتخذنا هزوا »؛ أي: أتستهزئ بنا، فا شأن ذبح البقرة بهذه المشكلة، فقال لهم موسى ـ عليه الصلاة والسلام -: «أعوذ بالله أن أكون من الجهلين»؛ الذين يجهلون حق البشر، أو الذين يعتدون على البشر؛ وذلك لأن الجهل قد يراد به عدم العلم، وقد يراد به العدوان؛ وهو الجهالة؛ كما قال الله - تعالى -: «إنما الثوبة على الله للذين يعملون الشقة يجهلة ثم يثوبوت من قريب فأولتيك يتوب الله عليهم ﴾ [النساء: 17].

ومن ذلك ـ أيضا ـ قول النبي ـ عليه الصلاة والسلام -: «من لم يدع قول الزور والجهل والعمل به؛ فلا حاجة الله في أن يدع طعامه وشرابه» ؛ يعني: الصوم، فالجهالة قد تكون بمعنى السفاهة، وسوء التصرف، والعدوان على الغير، وقد تكون بمعنى عدم العلم، فقول موسى: «أعوذ بالله أن أكون من الجهلين * يحتمل المعنيين جميعا، فلا رأوا موسى جادا فيها قال لم يمتثلوا ـ أيضا ـ امتثالا فوريا يدل على الانقياد التام، ولكنهم عاندوا بالاستفسار، فقالوا: «ادع لنا رئك يبين لنا ما هي »؛ أي: ما سنها؟ وما عمرها؟ وهل هي كبيرة أو صغيرة؟ إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذالك فافعلوا ما تؤمرون»؛ يعني: أنها لا كبيرة ولا صغيرة، ولكنها عوان بين ذلك، ثم أمرهم أن يفعلوا ما أمروا به، ولكنهم لم يفعلوا ولم يمتثلوا أمر نبيهم، بل إن ظاهر الآية الكريمة أن الأمر في قوله: «فافعلوا ما تؤمرون» صادر من الله؛ لقوله ـ تعالى -: (إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذالك فافعلوا ما تؤمرون .
ع
قالوا: «ادع لنا رئك يبين لنا ما لونها»؛ أي: أنهم لم يمتثلوا ولم يفعلوا ما أمروا به، بل ذهبوا يستفسرون استفسارا آخر عن اللون،

(١) رواه ابن ماجه: كتاب الصيام، باب ما جاء في الغيبة والرفث للصائم، رقم (١٦٨٩) بهذا اللفظ، ورواه ـ بنحوه ـ البخاري: كتاب الصوم، باب من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم، رقم (١٩٠٣).

فقال موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر النظرين " ، قال موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ: إنه ـ أي: الرب ـ عز وجل ـ يقول: (إنها بقرة صفراء فاقع لونها تشر النظرين *؛ فبين الله - عز وجل ـ أنها بقرة صفراء، فاقع لونها ـ أي: واضح الصفار ، تسر الناظرين بحسنها وجمالها، ولم يقتصروا على ذلك، بل طلبوا تفصيلا آخر فقالوا ـ كما في قوله ـ تعالى ـ: «ادع لنا

ج

ربك يبين لنا ما هي إن البقر تشبه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون » ؛ يعني: أنهم تشابه عليهم البقر الصفر؛ لأنهم كانوا يشاهدون بقرات صفراء، فقالوا: فإذا يراد منا أن نذبح من هذه البقرات؟ قال موسى: إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسيقى الحرث»؛ أي: أنها بقرة لا تستعمل في الحرث لا سقيا ولا إثارة، لا تثير الأرض بحرثها، ولا تسقي الزرع القائم ومسلمة لاشية فيها »؛ أي: لا عيب وإنا قال: «مسلمة لاشية فيها بعد قوله: «تُثير الأرض ولا تشقى الحرث»؛ لئلا يظنوا أنها بقرة هزيلة عجفاء ليس بها حراك، فقال: إنها: «مسلمة لاشية فيها »؛ أي: ليس فيها عيب، وحينئذ قالوا: «الفن جئت بالحق »؛ أي: في هذا الحوار جئت بالحق. وتأمل ماذا تدل عليه هذه الكلمة

- عليه

الصلاة والسلام ـ، وبيان أنهم لن يقبلوا من أمره إلا ما ظنوا أنه الحق؛ حيث قالوا: «الشن جئت بالحق * على الوصف الذي بينه

من

الاستخفاف

بموسى

أحكام من القرآن الكريم

الله - عز وجل ـ على لسان موسى عليه السلام، ومع ذلك ذبحوها وهم لم يقاربوا فعل الذبح؛ أي : من أجل تأخرهم، وتوانيهم، وتكاسلهم عن تنفيذ ما أمر الله - عز وجل ؛ ولهذا قال ـ تعالى : (وما كادوا يفعلون »؛ أي: ذبحوها بعد أن كادوا؛ أي: قاربوا ألا يفعلوا؛ لأنهم قوم عندهم من الطغيان والعتو على شرع الله ما لا نعلمه صدر عن أمة سواهم، اللهم إلا ما ذكر الله ـ عز

وجل ـ عن قوم نوح، حين قال نوح - عليه الصلاة والسلام ـ: (وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصبعه في اذانهم وأستغشوا ثيابهم وأصروا وأستكبروا استكبارا﴾ [نوح: 7]. ثم بين الله القصة فقال: «وإذ قتلثم نفشا فاذرائم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون»؛ أي: قتلتم نفسا محرمة؛ فاختلفتم فيها، فبين الله ـ سبحانه وتعالى ـ ما حصل بواسطة هذه البقرة التي ذبحت، وذلك بأن يضربوا هذا القتيل ببعضها، قال الله ـ تعالى ـ: «فقلنا أضربوه ببعضها كذالك يحي الله الموتى ويريكم اينته، لعلكم تعقلون»، فـــــربوا بعضو منها ـ ولا ضرورة لتعيينه ـ، ثم نطق القتيل، وقال: إن الذي قتلني فلان، فبين الله ـ تعالى ـ ما كانوا يكتمون. قال الله - عز وجل -: «ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهر وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغفل عما تعملون .

سورة البقرة

٢٨١

في هذه الآية الكريمة يبين الله ـ عز وجل ـ أن بني إسرائيل بعد أن أنعم الله عليهم ببيان قاتل القتيل الذي اداءوا فيه، وكادت تحصل فتنة عظيمة لولا أن الله من عليهم با ذكر، بعد هذا ـ أي: بعد ما حصل من هذه النعمة الكبيرة ـ قست قلوبهم؛ أي: صلبت وعظم استكبارهم، فكانت قلوبهم كالحجارة أو أشد قسوة، وإنما ضرب الله المثل بالحجارة دون الحديد؛ لأن الحديد قد يلين مع النار، لكن الحجارة لا تلين، فهي كالحجارة أو أشد قسوة، بل إن الحجارة خير من قلوبهم؛ لأن الحجارة يخرج منها ما فيه منافع للناس، ويهبط منها ما يهبط من خشية الله؛ فمن الحجارة ما تتفجر منه الأنهار، ومن الحجارة ما يشقق ـ أي: يتشقق - فيخرج منه الماء، ومن الحجارة ما يهبط من خشية الله، ثم ختم الله الآية الكريمة ببيان كال مراقبته وعلمه، فقال ـ تعالى ـ: «وما الله بغفل عما
تعملون *.

فوائد الآيات الكريمة:
ا ـ من فوائدها: أن الرجوع إلى الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام - في الأمور المهمة التي طريقها الشرع كان أمرا فطريا، سار الناس عليه منذ زمن بعيد؛ ويتفرع عن هذه الفائدة: أن الواجب على الأمة إذا أشكل عليهم شيء من أمور دينهم أن يرجعوا إلى أهل العلم بشريعة الله؛ وذلك لأن شريعة الله تعالى لاسيما الشريعة الإسلامية التي جاء بها محمد ﷺ فيها شفاء لكل داء، وفيها حل لكل مشكل؛ ولهذا قال الله

تعالى : (فإن تنتزعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول ﴾ [النساء: 59]؛ أي: إلى كتاب الله، وإلى الرسول ﷺ في حياته، وإلى سنته بعد مماته، ولم يأمرنا الله ـ تعالى ـ بالرجوع إلى الله ورسوله؛ إلا لأننا سنجد الحل الشافي الكافي في الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وما ضر الأمة وأوجد عندها المشاكل التي لا منتهى لها إلا غفلتهم عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ

٢- ومن فوائد هذه الآيات الكريمة: بيان عتو بني إسرائيل، وتأخرهم في تنفيذ أوامر الله، وأنهم قوم معاندون متشددون؛ شددوا فشدد الله عليهم؛ لأنهم ذكروا استفصالات كثيرة في هذه البقرة التي أمروا بذبحها، ولو أنهم ذبحوا أي بقرة حينها أمروا أن يذبحوا بقرة؛ لحصل لهم المقصود، لكنهم شددوا فشدد الله عليهم.
٣ـ
3- ومن فوائد هذه الآيات الكريمة: أن الأمر إذا جاء مطلقا فإنه لا ينبغي أن يستفصل فيه؛ لأن الاستفصال قد يؤدي إلى إضافة شروط ثقيلة، فإذا جاء أمر الله ـ عز وجل ـ في زمن الوحي مطلقا فإن الاستفصال عن قيود من شأن القوم الذين لا يريدون امتثال الأمر على وجه الفورية، أما بعد انقطاع الوحي فإنه لا حرج على الإنسان إذا ورد الأمر مطلقا أن يبحث عن شيء مقيد له؛ وذلك لأن الشريعة قد تمت، ولا يمكن زيادة إضافات إليها، فهنا يفرق بين أن يجد الإنسان أمرا مطلقا في القرآن والسنة فيا بعد انقطاع الوحي وفيا كان في زمن

الوحي؛ فما كان في زمن الوحي فإنه لا ينبغي الاستفصال عن قيود فيه؛ لئلا ترد قيود تضيق الأمر، وأما بعد زمن الوحي فلا بأس من البحث عن قيود؛ لأن النصوص ـ أحيانا ـ تأتي مطلقة في موضع، وتقيد في موضع آخر.
٤ـ ومن فوائد هذه الآيات الكريمة: بيان ما عليه بنو إسرائيل من سوء الظن؛ فإن موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ أعظم أنبياء بني إسرائيل، ومع ذلك قال له بنو إسرائيل ـ حين أمرهم أن يذبحوا بقرة : «أتتخذنا هزوا »

هـ ومـن فـوائـد هـذه الآية الكريمـة: تحـريـم الاستهزاء بـالغير والسخرية منهم؛ لقول موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ: (أعوذ بالله أن أكون من الجهلين *؛ فالاستهزاء بالغير والسخرية منهم جهالة وعدوان على المستهزأ به، المسخور منه، لا يقع إلا من سـفيه أو جاهـل بالشـريعة.

6. ومن فوائد هذه الآيات الكريات: أن الأنبياء ـ عـلـيهـم الـصلاة والسلام ـ لا يلجئون إلا الله ـ سبحانه وتعالى ، وإذا كـان الأنبيـاء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ لا ملجأ لهم إلا الله؛ فما بالـك بـمـن دونهـم؟! ويتفرع عن هذا قطع الشرك الـذي يقـع فـيـه كـثـيـر مـن الـنـاس، حيـنا يلجئون إلى الموتى مـن الأنبياء، أو ممـن يزعمـونهم أولياء، يلتجئـون إليهم، ويستعيذون بهم، ويستعينون بهم؛ فإن الاستعاذة بغير الله ـ عز

٢٨٤١

أحكام من القرآن الكريم

وجل ـ في أمر لا يقدر عليه المستعاذ به من الشرك، وكذلك الاستغاثة بغير الله في أمر لا يقدر عليه المستغاث به هو من الشرك أيضـا؛ فـالله سبحانه وتعالى ـ هو الملجأ الذي يلجأ إليه كل مخلوق، ولا عاصـم مـن أمر الله إلا من رحم.
٤
ـ ومن فوائد هذه الآيات الكـريـات: أن المجمـل إذا عـلـم المـراد منه؛ فلا بأس أن يكون الجواب عليـه مفصلا، وإن كـان هـو مجمـلا؛ لقولـه ـ تعالى ـ: «قالوا أدع لنا ربك يبين لنا ما هي قال إنه يقول إنها بقرة ...﴾ الآية؛ فإن قولهم في قوله ـ تعالى ـ: «يبين لنا ما هي » مجمـل مبهم؛ لأن الأسماء الموصولة من الأسماء المبهمة المجملة، فلا يعلم ماذا يريدون بقولهم: «ما هي»؟ لكـن إذا كـان المخاطـب يعلـم المـراد بهـذا المجمل المبهم، فـلا بـأس أن يكـون الجـواب عـلى حـسـب مـا فـهـمـه المخاطب؛ ولهذا قال لهم موسى ـ كما في قوله ـ تعالى ـ: «قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكرعوان ؟ إلى آخر الآيات. هـ ومن فوائد هذه الآيات الكريمات: إثبات قول الله ـ عز وجل - في قوله: «إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان). 9 - ومن فوائد هذه الآيـات الـكـريـات: أن الله - سبحانه وتعالى - مجيب لمن دعاه؛ لأن موسى دعا ربه ـ سبحانه وتعالى ـ أن يبيـن لـه مـا
هي؟ فأخبره الله أنها بقرة لا فارض، ولا بكر، عوان بين ذلك. ١٠ـ ومن فوائد هذه الآيات الكريمة: أن أحسن شيء يتقرب به إلى

الله ما كان فوق الصغر ودون الكبر الكثير؛ لقوله ـ تعالى ـ: «إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك؛ ولهذا جاء في الحديث الصحيح: «لا تذبحوا إلا مسنة، إلا أن يعسر عليكم فتذبحوا جذعة من الضأن»(١)، فنهى النبي ﷺ عن التقرب إلى الله بذبح الصغيرة، ومن المعلوم أنه كلما كبرت البهيمة قل شأن لحمها وتردى؛ فلهذا يكون ما بين الصغيرة والكبيرة هو الأفضل فيها يتقرب به إلى الله ـ عز وجل ـ ١١ـ ومن فوائد قوله - تعالى -: «فافعلوا ما تؤمروت » : أنه يجب على المأمور أن يمتثل ما أمر به على الوجه الذي أمر به؛ لقوله ـ تعالى ـ: ما تؤمروت»، و«ما» هذه موصولة تشمل عين المأمور ووصف المأمور، وما أمر به شرعا فإن الامتثال لا يحصل فيه إلا إذا فعله الإنسان على وجه ليس فيه زيادة ولا نقص؛ لأن الزيادة غلق والنقص
تفريط.

١٢ـ ومن فوائد هذه الآيات الكريات: أن بني إسرائيل عندهم من التهاون والتفريط في تنفيذ أوامر الله ما يتبين من هذه القصة وغيرها؛ فهم حين طلب منهم أن يفعلوا ما يؤمرون لم يفعلوا، بل ازدادوا تعنتا وتشددا، فقالوا: «أذع لنا رئك يبين لنا ما لونها ﴾ الآية، ويستفاد من هذه الآية: شدة تعنت بني إسرائيل وتشددهم؛ وإلا فا

(1) أخرجه مسلم: كتاب الأضاحي، باب سن الأضحية، رقم (١٩٦٣).

شأن اللون بالنسبة للغرض المقصود من ذبح هذه البقرة، ولكنهم لتشددهم وتمنعهم في تنفيذ أمر الله ـ عز وجل ـ صاروا يسألون عن اللون، ولعل هذا السؤال من حكمة الله ـ تعالى ـ أن يشدد عليهم؛ فإنهم لما شددوا شدد الله عليهم.
١٣ـ ومن فوائد هذه الآيات الكريات: أن ما كان جميلا من الحيوان الذي يتقرب به إلى الله فهو أكمل؛ لقوله ـ تعالى ـ: «فاقع لونها تسر النظريت»، فإن قال الإنسان: ما شأن هذا أو ما

علاقة هذا بما يتقرب به إلى الله؟ فالجواب عن ذلك أن نقول: إنه لما كانت هذه البقرة مما أمر الله به كانت قربة إلى الله؛ لأن موسى ـ عليه الصلاة والسلام - أمر قومه أن يذبحوا هذه البقرة؛ فامتثالهم لأمر موسى قربة الله ـ عز وجل ، وإن كان الغرض من هذا هو الإرشاد فإن فيه شائبة القربة وقد يقال: إنه قربة محضة؛ لأنه يحصل به درء مفسدة وفتنة كادت تقع بين بني إسرائيل لولا أن الله ـ تعالى ـ أبان القتيل بهذه الوسيلة. ١٤ـ ومن فوائد هذه الآيات الكريات: أنه يجوز أن يحمل المخاطب الشيء المبهم المجمل على ما يظنه من المراد؛ حيث قالوا:
ادع لنا ربك يبين لنا ما هي إن البقر تشبه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون - قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول﴾ الآيات؛ فإن «ما هي ؟ هي الصيغة التي وردت في أول القصة في قوله: «ادع لنا ربك يبين لنا ما هي، ومع ذلك كان الجواب هناك بقوله: «إنها بقرة لا فارض ولا

بكره الآية، والجواب هنا بقوله: «إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تشفى الحرث ، مع أن جملة الاستفهام واحدة في صيغتها، لكن المخاطب يفهم من كل صيغة ما يقتضيه المقام. ١٥- ومن فوائد هذه الآيات الكريمات: أن بني إسرائيل لما قالوا: ٥ وإنا إن شاء الله لمهتدون» وفقهم الله - سبحانه وتعالى ـ للهدى في النهاية، ولو أنهم قالوا: «وإنا لمهتدون»؛ لم يوفقوا؛ أي: ولو أنهم عزموا علي أن يكونوا مهتدين بدون أن يقولوا: «إن شاء الله»؛ فإنهم حري ألا يوفقوا؛ لأن قرن الخبر بالمشيئة على فعل المستقبل أمر مطلوب؛ فإن ذلك مما يسهل هذا الأمر؛ ولهذا لما قال سليمان ـ عليه الصلاة والسلام لأطوفن الليلة على تسعين امرأة) كلهن تأتي بفارس يجاهد في سبيل
الله. فقال له صاحبه: قل: إن شاء الله، فلم يقل: إن شاء الله. فطاف عليهن جميعا؛ فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة، جاءت بشق رجل»، فقال النبي ﷺ: «لو قال: إن شاء الله لكان دركا لحاجته ولقاتلوا في سبيل الله» (٢)، وليس هذا من باب الخبر عن أمر واقع؛ فإن الخبر عن أمر واقع لا يحتاج إلى قول: «إن شاء الله»، إلا على سبيل التبرك أو التعليل؛ ولهذا كان القول الراجح في قول الإنسان: أنا مؤمن إن شاء الله، إذا كان غرضه الإخبار عن الأمر الواقع؛ فإنه لا يحتاج إلى

(1) أي: بالجماع.
(٢) تقدم تخريجه (٢٣).

أحكام من القرآن الكريم

قوله: إن شاء الله؛ لأن هذا خبر عن شيء حصل إلا أن يريد بذلك أن إيمانه حصل بمشيئة الله، أو أنه يريد التبرك بهذا؛ أي: إضافة إيانه إلى مشيئة الله - عز وجل -، وبراءته من حوله وقوته؛ أي: من حول نفسه وقوتها إلى مشيئة الله - عز وجل -؛ فإن هذا لا بأس به؛ ومن ثمّ كان الاستثناء في الإيمان يختلف، فإن كان الحامل عليه الشك في وجود الإيمان؛ فهذا حرام لا يجوز؛ لأن الإنسان يجب أن يؤمن إيمانا جازما لا شك فيه، وإن كان الغرض من ذلك التبرك أو بيان أن ما حصل واقع بمشيئة الله؛ فإن هذا لا بأس به، وبهذا التفصيل ينجلي الإشكال الذي حصل عند كثير من أهل العلم: هل يجوز للإنسان أن يستثني في إيمانه، فيقول: أنا مؤمن إن شاء الله، أو لا يجوز؟ ١٦- ومن فوائد هذه الآيات الكريمات: أنه إذا ذكرت أوصاف في شخص يخشى منها أن يتوهم المخاطب شيئا خلاف الواقع فإنه لابد من ذكر قيد يرفع هذا التوهم؛ وذلك في قوله ـ تعالى ـ: «قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسيقى الحرث مسلمة لا شية فيها ؛ فإن في قوله: «لا ذلول تثير الأرض ولا تسيقى الحرث * قد يقول قائل: إن فيها عيبا؛ لأنها لا تقدر على أن تثير الأرض أو تسقي الحرث، فبين الله ـ تعالى ـ أنها مسلمة لاشية فيها، وهذا يسمى بالاحتراز أو بالاحتراس في علم البلاغة.
وقد جاء ذلك في القرآن في مواضع؛ منها: قوله ـ تبارك وتعالى -:

سورة البقرة

٢٨٩

ع
وداود وسليمان إذ تحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شهدين (ففهمتها سليمين ﴿ [الأنبياء: ٧٨، ٧٩]، فقد قال الله بعد هذا: (وكلا اتينا حكما وعلما وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فعليت ﴿ [الأنبياء: 79]؛ فلها ذكر الله ـ تعالى ـ أنه فهم الحكم الصحيح سليمان، وكان ذلك يخشى منه أن تهبط منزلة داود ـ عليه الصلاة والسلام ـ بين الله ـ تعالى ـ أنه قد آتى داود وسليان حكما

وعلها، وأن الله سخر لداود الجبال تسبح معه والطير ... إلخ الآيات. ومن ذلك ـ أيضا ـ قوله ـ تعالى ـ: (لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقتل أولتيك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقتلوا وكلا وعد الله الحسنى ﴾ [الحديد: 10]؛ فإن قوله: «أولتيك أعظم درجة * قد يؤدي إلى انحطاط كبير في رتبة الآخرين الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا، فرفع الله ذلك في قوله: «وكلا وعد الله الحسنى »، ومن ذلك - أيضا ـ قوله ـ تعالى ـ: « لا يستوى القعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله الجهدين بأموالهم وأنفسهم على القعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى ﴾ [النساء: ٩٥]؛ فلا ذكر الله تفضيل المجاهدين على القاعدين قال: «وكلا وعد الله الحسنى؛ لئلا يتوهم واهم نزول رتبة الآخرين نزولا فاحشا. ١٧- ومن فوائد هذه الآيات الكريات: بيان ما عليه بنو إسرائيل من التعاظم، والترفع، والاستعلاء؛ لقولهم ـ كما في قوله ـ تعالى -:

ج

،٢٩

أحكام من القرآن الكريم

والشين جئت بالحق * فكأنهم هم الذين يحكمون على موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ بل هم الذين يحكمون على ما جاء به موسى من كونه حقا أو باطلاً؛ لقوله ـ تعالى ـ: «الفن جنت بالحق ، ومن المعلوم أن

موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ قد جاء بالحق في ذلك الآن وقبله. ١٨ـ ومن فوائد هذه الآيات الكريمات: أنه يجوز حرث الأرض بالبقر، وسقي الحرث بها؛ لقوله ـ تعالى ـ: « ذلول تثير الأرض ولا تشقى
الحرث .

١٩ـ ومن فوائدها: الإشارة إلى أنه ينبغي ألا نستعمل في حرث الأرض وسقي الزرع إلا ما كان ذلولا طبعا؛ وذلك لأن الشموس أو الصعب قد يفسد أكثر مما يصلح، ويمكن أن نفرع عن هذه الفائدة فائدة أخرى؛ وهي ألا نستعمل من الأشياء إلا ما دلت التجارب على أنه صالح فيها؛ حتى لا نقع في الخطأ والزلل. ٢٠- ومن فوائد هذه الآيات الكريات: أن بني إسرائيل حين امتثلوا ما أمرهم موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ بذبح البقرة مع التشديد، والتعنت، والاستفصال لم يذبحوها عن انقياد تام وتنفيذ فوري؛ وإنها ذبحوها * وما كادوا يفعلون »؛ أي: ما قاربوا الفعل؛ لكونهم متصفين بالعلو والاستكبار.

٢١- ومن فوائد هذه الآيات الكريات: أنه يجوز ذكر المسبب قبل ذكر السبب؛ فإن الذبح كان سببه الاختلاف الذي وقع بين بني إسرائيل

سورة البقرة

= ٢٩١

بشأن القتيل، ومع ذلك ذكر قبل أن يذكر السبب؛ لأنه هو محل العبرة، وهو الذي يكشف حال بني إسرائيل على وجه الحقيقة، وأنهم قوم لا يمتثلون لأوامر الله تعالى ورسوله ﷺ إلا بعد أن تقبله نفوسهم، وكأنهم يريدون أن يتبع الحق أهواءهم؛ ويدل لهذا قولهم: «الفن جئت بالحق. ٢٢- ومن فوائد هذه الآيات الكريات: بيان قدرة الله - سبحانه وتعالى - حيث كان ضرب هذا القتيل سببا لحياته؛ فإن إحياء الموتى لا يكون إلا بقدرة الله - عز وجل -؛ ولهذا لما ناظر إبراهيم من حاجه في الله، قال له إبراهيم : (ربي الذي يخي، ويميت ؟، قال هذا المحاج: « أنا أخي، وأمين ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، وهو كاذب فيها ادعاه؛ فإنه

لا يقدر على الإحياء والإماتة إلا الله - سبحانه وتعالى. ٢٣- ومن فوائد هذه الآيات الكريمات: أن الله - سبحانه وتعالى - عليم بكل شيء، وأن ما كتمه الإنسان فإن الله - تعالى - سيخرجه، ولا سيما إذا كان في خروجه للعباد مصلحة؛ كما قال الله - تعالى -: «والله مخرج ما كنتم تكتمون ؟ .

٢٤- ومن فوائدها: أن القاتل لابد أن يخرجه الله تعالى يبينه؛ كما قال - تعالى -: ﴿ ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه، سلطنا فلا يشرف في القتل ﴾ [الإسراء: 33]؛ فإن الآية الكريمة تدل على أن ولي المقتول له سلطان شرعي وسلطان قدري؛ فإن الله - تعالى - يبين هذا القاتل حتى يقتل؛ ولهذا قال: « فلا يشرف في القتل ﴾ [الإسراء: 33].

د ٢٩٢١

أحكام من القرآن الكريم

٢٥- ومن فوائد هذه الآيات الكريمات: أن هذه القصة قصة من خمس قصص في سورة البقرة، كلها في إحياء الموتى وسنبين ذلك - إن شاء الله - فيما بعد.
٢٦- ومن فوائد الآيات المذكورة في هذه القصة: جواز الأمر بالمبهم إذا كان يمكن امتثاله؛

لقوله - تعالى -: «فقلنا أضربوه ببعضها»؛ فإن البعض يتناول أي جزء من أجزائها؛ كاليد، أو الرجل، أو القلب، أو الكبد، أو أي جزء من أجزائها؛ لقوله ـ تعالى ـ: «أضربوه ببعضها ؛ وبناء على ذلك لو أنك قلت لشخص: افعل بعض هذه الأشياء وذكرت له أشياء محصورة فإن هذا الأمر صحيح، ويبرأ الإنسان الذي أمرته بفعل بعضه؛ أي بفعل ما شاء، أما إذا كان هذا الإبهام لا يمكن تحقيقه فإن الواجب الاستفسار؛ ولهذا لما قال الله ـ تعالى ـ للقلم: اكتب قال: رب وماذا أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة؛ فكتب القلم ما هو كائن إلى يوم القيامة، وذلك قبل أن يخلق الله السموات والأرض بخمسين ألف سنة.

٢٧- ومن فوائد هذه الآيات الكريات: بيان قدرة الله - سبحانه وتعالى ـ على إحياء الموتى، وقد ذكرنا فيها سبق أن الله ذكر خمس قصص في سورة البقرة فيها إحياء الموتى؛ فمن ذلك ما سبق في قوله ـ تبارك وتعالى : (وإذ قلتم ينموسى لن تؤمن لك حتى ترى الله جهرة فأخذتكم الضيقة وأنتم تنظرون ع ثم بعثتكم من بعد موتكم لعلكم

تشكرون (* [البقرة: 55 ـ ٥٦]، ومنها ـ أيضا ـ هذه القصة، قصة القتيل الذي اختلف بنو إسرائيل في قاتله، ومنها قصة القوم الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله: موتوا ثم أحياهم، ومنها قصة الرجل الذي مرّ على قرية وهي خاوية على عروشها، قال: أني يحيي الله هذه بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه، والخامسة: قصة إبراهيم؛ حيث قال ـ كما في قوله ـ تعالى : (وإذ قال إبراهيم رب كيف تُحي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمين قلى قال فخذ أربعة من الطير قصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم * * [البقرة: ٢٦٠]. والله ـ سبحانه وتعالى ـ قادر على إحياء الموتى كلهم بكلمة واحدة؛ كما قال الله ـ تعالى : (فإنما هي زجرة واحدة - فإذا هم بالشاهرة * * [النازعات: ١٣، ١٤]. و
٢٨ـ ومن فوائد هذه الآيات الكريمات: أن الله ـ سبحانه وتعالى - أرى عباده من آياته ما يكون به العقل والرشد؛ لقوله ـ تعالى -: وكذالك يحي الله الموتى ويريكم اينته، لعلكم تعقلون»، وآيات الله ـ سبحانه وتعالى ـ تنقسم إلى قسمين: آيات كونية، وآيات شرعية؛ فالآيات الكونية: ما يحصل بخلقه وتقديره؛ مثل السموات والأرض، والشمس والقمر، والنجوم والشجر، والدواب. والآيات الشرعية: ما
جاءت به الرسل من الأوامر، والنواهي، وغيرها من أقسام الوحي.

أحكام من القرآن الكريم

٢٩ـ ومن فوائد الآيات الكريات: أن تدبر الآيات سبب للعقل؛ لقوله ـ تعالى ـ: «لعلكم تعقلون »؛ والعقل عقلان: عقل إدراك وعقل

ج
تصرف؛ فعقل الإدراك: هو الذي يترتب عليه التكليف ويكون في المؤمن والكافر، والبر والفاجر، وأما عقل التصرف: فهو ما يحصل به الرشد؛ وهو حسن التصرف في أفعال الإنسان وأقواله، وهذا خاص بمن آتاه الله الحكمة؛ كما قال ـ تعالى ـ: « يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألبب » [البقرة: ٢٦٩]؛ وعلى هذا فلو سألنا سائل: هل الكفار عقلاء؟ فالجواب أن نقول: هم عقلاء من حيث عقل الإدراك الذي يترتب عليه التكليف، وليسوا عقلاء من حيث عقل التصرف الذي يحصل به الرشد؛ ولهذا ينفي الله عنهم ـ أي: عن الكفار ـ كثيرا سمة العقل؛ كا في قوله: «إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون - * [الأنفال: 55]. وقوله ـ تعالى ـ: « إن شر الدوات عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون بي ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ﴾ [الأنفال: ٢٢، ٢٣]؛ فالكفار ليس لهم عقل تصرف يوصلهم إلى الرشد، وإن كان عندهم عقل إدراك يترتب عليه التكليف والمؤاخذة. 30ـ ومن فوائد هذه الآيات الكريمات: إثبات الأسباب في قوله: ولعلكم تعقلون»، وقد تقدم الكلام فيما سبق عن ذكر اختلاف الناس في الأسباب وبينا أن القول الوسط هو إثبات تأثير الأسباب لكـن لا

سـورة البقـرة

٢٩٠

بذاتها، ولكن بما أودع الله فيها من القوة التي تؤثر في المسببات. ٣١ـ ومن فوائد هذه الآيات الكريمات: أن بني إسرائيل ـ بعد هـذا كله ـ قست قلوبهم، ولم يزدادوا بهذه الآيات والنعم لينا للحق وقبـولا له، ولكنهم قست قلوبهم من بعد ذلك. ٣٢ـ ومن فوائد هذه الآيات
الكريمات: التحذير مما جـرى لبني إسرائيل من قسوة القلوب بعد رؤية الآيات التي يرينا الله إياها؛ فمثلا إذا رأينا من آيات الله ما تلين به القلوب، ويحصـل بـه الـرجـوع إلى الله؛ فإن الواجب

علينا أن نقوم بذلك ـ أي: بالرجوع إلى الله ـ وأن تلين قلوبنا لذكر الله، أما إذا كان الأمر بالعكس؛ لا يزداد الإنسان من رؤية الآيات إلا قسوة قلب وتمردا في الفعل؛ فإن هذا وقوع فيها كانت عليه بنو إسرائيل ـ نسأل الله السلامة.

٣٣ـ
٣٣ـ ومن فوائد هذه الآيات الكريمات: التحذير من قسوة القلب بعد ظهور الآيات؛ لأن هذا أعظم شرا وأكبر إنها مما إذا لم ير الإنسان من آيات الله ما تقوم به الحجة، ومع الأسف أن بعض الناس بعد ظهور الآيات لا يزداد إلا كبرا وعنادا، فتجد من آيات الله ما يظهر ظهورا بينا، سواء أكانت هذه الآيات من الأمور الفلكية، أو الأرضية، أو الواقعة بين الناس، فإن كثيرا من الناس لا يهتم بها، ولا يذكرها إلا على سبيل أنها واقعة فقط؛ فعند كسوف الشمس أو خسوف القمر لا نجد كثيرا من الناس يتأثر أو يقبل على المساجد؛ ليفعل ما أمر به

١٢٩٦

أحكام من القرآن الكريم

الرسول ﷺ من الصلاة، وعند حصول الزلازل والفيضانات والعواصف الشديدة لا نجد كثيرا من الناس يهتم بها، ويقلق منها، ويخشى أن يصاب بمثلها، بل لا يذكرونها إلا على أنها حوادث وقعت، وكأنها ـ كما يقولون ـ كوارث طبيعية، لا يلتفت إليها، ونجد كثيرا من الناس تقع بينهم الحروب والفتن، ويعتدي بعضهم على بعض بالقتل، والنهب، وانتهاك الحرمات، ومع هذا لا يعدونها شيئا يذكر، بل يذكرونها على أنها حوادث تاريخية، وليست من الآيات التحذيرية التي يحذر الله بها العباد؛ فتجدهم بعد أن تزول هذه الكوارث وهذه الحوادث العظيمة يرجعون إلى غيهم، بل ربا يرجعون إلى أكبر من غيهم ـ نسأل الله السلامة.
والواجب على المؤمن أن يتخذ من هذه الآيات عبرة، وأن يرجع إلى الله رجوعا حقيقيا؛ حتى لا ترجع هذه
الحوادث والكوارث على وجه أكبر مما كانت عليه من قبل. ٣٤ـ ومن فوائد هذه الآيات الكريات: أن قلوب بني إسرائيل التي قست كانت كالحجارة بل أشد.
٣٥ـ
ومن فوائدها: أن من الحجارة ما هو خير من هذه القلوب؛ فمنها ما يتفجر منه الأنهار، ومنها ما يشقق فيخرج منه الماء، ومنها ما يهبط من خشية الله، وقلوب هؤلاء القوم التي تست لا يأتي منها خير، ولا تلين لحق.
36- ومن فوائد هذه الآيات الكريمات: عموم رقابة الله - عز وجل

، وأنه على كل شيء رقيب، ولا يفوته شيء، ولا يخفى عليه شيء؛ لقوله ـ تعالى ـ: «وما الله يغفل عما تعملون) . ٣٧- ومن فوائد هذه الآيات: تحذير المرء من العمل الذي لا يرضاه الله ـ عز وجل ؛ لأنه مهما عمل فالله ـ تعالى ـ عالم به مطلع عليه
رقيب عليه.
٣٨ـ ومن فوائد هذه الآيات الكريمات: إثبات الوصف السلبي؛ أي: إثبات الصفات المنفية عن الله - عز وجل ؛ يعني: الإيان بأن الله موصوف بالإثبات وبالنفي؛ أما وصف الله بالإثبات: فكثير جدا في القرآن الكريم والسنة النبوية، وأما وصف الله ـ تعالى ـ بالنفي: فهو أقل من وصفه بالإثبات، ولم يذكر الله ـ تعالى ـ أوصاف النفي إلا لأسباب تقتضيها؛ مثل توهم النقص في صفاته؛ كما في قوله ـ تعالى -: (ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب * [ق: 38]؛ لأن الشيطان قد يوقع في قلب المرء ـ إذا علم أن الله خلق السموات والأرض وما بينها في ستة أيام ـ أن الله ـ تعالى ـ يلحقه تعب أو لحقه تعب في ذلك فقال ـ تعالى ـ: «وما مسنا من لغوب؟ ومنها أن الصفات المنفية تذكر لدفع ما افتراه الكاذبون في حق الله؛ كما في قوله ـ تعالى ـ: « ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله » [المؤمنون: 91]، ومنها أن الصفات المنفية قد تذكر للتهديد؛ كما في هذه الآية: (وما الله بغافل عما تعملون »؛ فإن المراد بهذه الجملة تهديد

المخاطب ببيان أن الله ـ تعالى ـ لن يغفل عما عمل من خير أو شر، قليل أو كثير، وقد ذكر أهل العلم: أن ما جاء من صفات النفي في حق الله ـ عز وجل ـ ليس بنفي محض، بل هو نفي متضمن للإثبات، وهذا الإثبات هو كال ضد المنفي؛ فمثلا يقال في قوله ـ تعالى : (وما مشتا من لغوب ﴾ [ق: ٣٨] المقصود بهذا النفي إثبات كمال قوته ـ عز وجل ـ وأنه لكمال قوته لم يمسه تعب ولا إعياء، ومثل قوله ـ تعالى ـ: * وما ربك بظلم للعبيد ﴾ [فصلت: ٤٦]، يراد بنفي الظلم هنا عن الله إثبات كال عدله، وأنه لكال عدله لا يقع في إثباته ظلم إطلاقا، وكذلك قوله - تعالى -: «ما أتخذ الله من ولد وما كان معه من إله ﴾ [المؤمنون: 91]، يراد بذلك إثبات كمال

غناه عن كل أحد، وإثبات وحدانيته، وأنها وحدانية مطلقة ليس معه فيها إله، وعلى هذا فقس.

فكل ما جاء من صفات منفية عن الله فليس المراد بها مجرد النفي، وإنها المراد بها إثبات كمال الضد مع نفي هذه الصفة المعينة التي جاء النفي عنها، ثم اعلم أن أهل السنة والجماعة ـ وأعني بذلك سلف الأمة ومن تبعهم في هديهم ـ ليسوا كأهل البدع الذين لا يصفون الله ـ تعالى ـ إلا بصفات النفي، فتجدهم يكثرون من صفات النفي في حق الله ـ عز وجل ـ وأما صفات الإثبات فإنهم لا يهتمون بها، ولو ذكروها لذكروها على وجه مؤول تأويلا بعيدا عن الصواب، وحقيقته أنه تحريف وليس بتأويل.

سورة البقرة

٢٩٩

٣٩ـ ومن فوائد هذه الآيات الكريات: أن هذا القرآن الكريم جاء تفصيلا لكل شيء يحتاج الناس إلى تفصيله؛ من أجل أن يكون موعظة تامة في جميع الأحوال؛ فإن في ذكر أخبار من سبق عبرة لمن اعتبر؛ كا قال ـ تعالى ـ: « لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألبب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾ [يوسف: ١١١].

ج
ثم قال الله - عز وجل - : «أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم تخرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون * وإذا لقوا الذين ءامنوا قالوا ءامنا وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليخالجوكم به، عند ربكم أفلا تعقلون من أولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون * . في هذه الآيات يقول الله ـ عز وجل ـ مخاطبا رسوله ﷺ وأصحابه: أفتطمعون أن يؤمنوا لكم »؛ أي: أهل الكتاب؛ يعني: أترجون أن يؤمنوا لكم، والحال أن فريقا منهم يسمعون كلام الله ـ وهم العلماء منهم ـ يسمعون كلام الله في التوراة، أو يسمعون كلام الله الذي أوحاه إلى موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ حين اختار من قومه سبعين رجلا لميقات ربه ويسمعون كليم الله ثم خرفونه»؛ أي: يصرفونه عن المراد به إلى معان يريدونها هم، فيجعلون معنى كلام الله - سبحانه وتعالى -